# نقدُ النَّظريةِ الماركسيَّةِ لنهايةِ التَّاريخِ

■ د. حمدان العكله[1]

## ملخّص

يَحظى البحث في "نهاية التاريخ" بأهمية استراتيجية، في الفلسفات والمنظومات الفكريـة والأيديولوجية؛ بوصفـه يحمل رؤية نهائية للتطوُّر الاجتماعي والسـياسي لحركـة المجتمعـات البشرية، كما هو الحال مـع "النظرية الماركسـية"، وتصوُّرها لنهايـة تطـوُّر العالم، والوصـول لحالة مـن الحتميـة، إلا أنَّ مِثلَ هذه الفلسـفات والنَّظريات، التي خاضَت في هذا الموضوع، ومنها الماركسـية، قد وقعَت في جملة من التناقضات، وتَعرَّضَت لموجة من النقد، وذلك لِما حوته من تنبُّؤات غيرِ علمية، مبنية على فكرة "الحتمية"، إضافة إلى مواقفها الجذرية العنيفة التي لا تتقبَّلها الفطرة السـليمة، مثل: إلغاء الملكيـة الفردية، ورفض الفكر الدِّينـي والرؤية الميتافيزيقية، وإنكار أمور البعث والحسـاب والحياة الآخرة، التي هي محلُّ إجماعٍ لدى مختلف المجتمعات البشرية على مدى الزمان.

**الكلمات المفتاحية**: نهاية التاريخ، الماركسية، الشيوعية، تطوُّر المجتمعات، الاقتصاد، النقد الدِّيني.

1 - مدرس الفلسفة في جامعة ماردين-أرتقلو الحكومية - تركيا.

## مقدِّمة

تعـدُّ نظريـة "نهاية التاريخ"، في الفلسـفة الماركسـية، وسـيلةً مهمَّةً لفهم التاريـخ والتطوُّر الاجتماعي، وتحوُّل المجتمعات عبر سيرورة التاريخ، وتستند هذه النظرية على مفاهيم أساسيّة، في مقدِّمتها مفهومُ "المادية التاريخية"، والـذي خلاصته: أنَّ التطوُّر الاجتماعي والتاريخي في المجتمعات يَنبع من العلاقات الاقتصادية، وآلية توزيع الثَّروة، بمعنى أنَّ الاقتصاد والقدرة على الإنتـاج هما القوة المحرِّكة والمغيِّرة للمجتمعات، ضمن ديناميات "الصراع الطبقي" بين الطبقة العاملة/البروليتاريا والطبقة الحاكمة/البرجوازية، ووَفقًا لهذه النظرية سيتوقَّف هذا الصراع الطبقي عندما تصبح الطبقةُ العاملة هي الطبقة الحاكمة، وتتحقَّق المسـاواة الاجتماعية، وعندها ينتقل المجتمع إلى الحالة الشُّيوعية، التي تُؤذِنُ بنهاية الصِّراعات الطبقية، والوصول إلى التَّوزيع العادل للثَّروة والسُّلطة، وبذلك يتحقَّق الوصولُ إلى "نهاية التاريخ".

وهذه النظرية قد تعرَّضت لانتقادات من فلسفات لاحقة لها، نذكر منها على سبيل المثال بعضَ انتقادات فلاسـفة منهم: (فريريك هايـك - Friedrich Hayek)، (كارل بوبر - Karl Popper)، (ليو سـتراوس – Leo Strauss)، (فرانسـوا ليوتار - François Lyotard)،..، مع الإشارة إلى أن هذه الانتقادات كانت تتراوح بين عدم موضوعيّتها وغموضها تارة، وتارة أخرى بتطرُّفها الفكري وطوباويّتها وتجاهُلِها للجوانب الرُّوحية والدِّينية.

أثبتت التجاربُ العملية أن هناك تباينًا كبيراً بين "نهاية التاريخ"، كنظرية وفلسفة، وبين الواقع المَعيش، فعلى مستوى الواقع مارسَت الأنظمةُ المُؤمنةُ بهذه الفلسفة عَدَميّةً تاريخية على حركيّةِ التاريـخ، أي أنها انتهَت إلى إيقاف عجلة التحوُّلات الاجتماعية، لإثبات صوابية هذه الفلسـفة ونظرياتها، وكأنَّ التاريخ وتبدُّلاته يمُكِن التحكُّمُ بهما بهذه السهولة، كما حاولت تجاهل مفهوم التنمية الاقتصادية، والتوزيع العادل للثروة ووسـائل الإنتـاج، وهذا ما جعل النَّظرية مَوضِعَ نقدٍ

من الاقتصاديِّين اللاّحقين، كما أنَّ النَّظريات والفلسفات الدِّينية الميتافيزيقية تَنتقد هذه النظرية، وتُقدِّم سلسلةً من الأدلة على بطلانها دينيًّا وأخلاقيًّا. ويَبقى البحث محاولةً للإجابة عن تساؤُل إشكالي رئيس فحواه: ما مدى صوابيّة نظرية نهاية التاريخ في الفلسفة الماركسية، وكيف يَنظر العلم والفلسفة إليها اليوم؟

**1 - موضوع البحث**

البحثُ يسلِّط الضوءَ على مفهوم "نهاية التاريخ" عند الماركسية، بوصفها نظريةً تُشكِّل أساسَ الفِكر الماركسي، ويَتناول مفهومَ التطوُّر التاريخي للمجتمعات البشرية، وكيف تُفسِّر الرُّؤيةُ الماركسية للتاريخ العلاقةَ بين القوى الاجتماعية والتطور التاريخي، عبر صراع الطبقات الاجتماعية. كما يَعرض البحثُ أهمَّ الآراء النَّقدية حيالَ فكرة "نهاية التاريخ" وتبايُنها مع الواقع، والهَفَوات التي وقعت بها هذه النَّظرية، كما يهتمُّ البحث بمعرفة رأي النقاد المعاصرين الذين درسوا النظرية من الناحية الاقتصادية، والوقوف على مدى تَطابقها مع العلم الحديث وتطوُّراته، كما أن البحث يستطلع رأيَ الفلسفات والأفكار الدِّينية حول موقفها من مباني هذه النظرية، ويبحث عمّا إذا كانت ارتكبَت تلفيقًا من أيِّ نوع بغيةَ إثبات أن حالة الشُّيوعية هي الحالة النِّهائية للتطوُّر التاريخي، ويَستهدف إيضاحَ الفوارق بين التصوُّر الماركسي المادي، والتصوُّر الدِّيني الإيماني، المَبنيّ على الرُّؤية الكونية الإلهية (الميتافيزيقية) لحتمية نهاية التاريخ.

**2 - مشكلة البحث**

يُحاول البحثُ الإجابة عن تساؤل إشكالي رئيسيٍّ هو: ما مدى صوابية النَّظريةِ الماركسيَّةِ في القَول بنهايةِ التَّاريخِ؟ وما الموقف العلمي والاقتصادي والدِّيني منها؟

**3 - حدود البحث**

نطاقُ البحث يعود من حيث الزمان إلى القرن التاسع عشر، ليقف على بداية ظهور الماركسية وتطوُّرها، وموقف الفلسفات التالية لها من النَّظريةِ الماركسيَّةِ لنهايةِ التَّاريخِ، وتحديد مدى صلاحية هذه النظرية في الوقت الحاضر، أما من ناحية المكان، فالبحث يبدأ مع فكر (ماركس)

الذي ظهر في ألمانيا، ثم يخرج من الإطار الجغرافي بمعناه المحدَّد؛ ليَتناول موقفَ الفلسفات المختلفة، وعلم الاقتصاد، ورأي الأديان.

### 4 - أهداف البحث

يسعى البحث لتحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها:

1. التعرُّف على معنى "نهاية التاريخ" في مسيرة الفكر الفلسفي الإنساني وتطوُّره.
2. معالجة الآلية والرُّؤية التي طرحَت وَفقها الماركسيةُ نَظريّتَها لـ"نهايةِ التَّاريخِ".
3. الوقوف على التبايُنات ومواطن الزَّلل في النَّظرية الحتمية الماركسية.
4. عرض النَّظريات الاقتصادية والنقد المُوجَّه لنَّظرية "نهايةِ التَّاريخِ".
5. مراجعة الأديان والفلسفات الدِّينية وموقفها الناقد لمادية الفلسفة الماركسية ونظرياتها.

### 5 - منهجية البحث

يعتمـدُ البحثُ على المنهج التاريخي التحليلي، الذي سـنقوم مـن خلاله بتحليل الأحداث التاريخية التي أثَّرت على ظهور نظرية "نهاية التاريخ" في الفلسفة الماركسية، كما يَستند البحث على المنهجية النَّقدية لرصد التباينات والتناقضات التي وقعت بها النظريةُ التاريخية.

## أولًا: نظرية نهاية التاريخ في الفلسفة الماركسية والموقف منها

إنَّ الفلسـفة المثالية التي تقوم عليها الاشـتراكية، والتي تعتمد عـلى مبدأ الأخوَّة بين الجنس البـشري، والأمل في العدل الاجتماعـي بعد توزيع الثروات، وزوال الاحتـكارات، وغيرها من المبادئ المثالية المطلقة، التي كانت تُجافي الواقع المعيش، وروح المنطق، دَفَعَت كلُّها (ماركس - Marx) وعددًا من الماركسـيِّين اللّاحقين إلى تجاوز هذه الطوباوية، عن طريق القول بالصِّراع الطبقي الذي يَحكم سيرورةَ تاريخ المجتمعات البشرية، حيث يكون هذا الصراع بين طبقة تَملك وسائلَ الإنتاج، وطبقة كادحة تعمل عند الطبقة المالكة لهذه الوسائل.

وقد ذهب (ماركس) إلى أنَّ التاريخ لم يَبدأ منذ حالة الصراع الطبقي هذه، وإنَّما بدأ منذ حالة المَشاعية القديمة، حيث لا قانون إلا قانون المَشاع الذي يَحكم حياة الأفراد ويُسيِّرها، فلا وجود

للملكية الفردية، وكلُّ شيء مشـاعٌ بين الأفراد، ثمَّ تطوَّرت الحياة إلى حالة العبودية، فانقسـمت المجتمعاتُ البشرية إلى طبقة أسـياد وطبقة عبيد، وهذا ما أسَّس لظهور المجتمعات الإقطاعية لاحقًا، التي تميَّزت بسيطرة مُلَّاك الأراضي الزراعية على الفلاحين، وانتهَت هذه المرحلة بتطوُّر بعض الصناعات، ونشـوء الثَّورة الصناعية، التي كانت سـببًا رئيسًا في ظهور مرحلة الرأسمالية، والتـي ينتقدها (ماركس) معبرًّا عن جوهرها قائلًا: "تظلُّ دائمًـا في جوهرها ديمقراطيةً من أجل الأقلِّيـة، من أجل الطَّبقات المُتملِّكـة فقط، من أجل الأغنياء فقط"[1]، وبذلك سـيَغيب الصرِّاعُ الطبقيُّ في هذه المرحلة تمامًا عندما يتمُّ إلغاء ملكية وسائل الإنتاج، ويقوم العمالُ بتملُّك وسائل الإنتاج في المعامل، ويتمُّ العمل وفقًا لقاعدة؛ لكلٍّ حسـب الطَّاقة التي يَبذلها في عمله، ولكلٍّ أيضًا حسب حاجته، وبذلك نصل، بحسب (ماركس)، إلى حالة من الحرية والعدالة والمساواة.

### 1 - معنى نهاية التاريخ في الفلسفة

وُلدت فكرةُ نهاية التاريخ مع وجود الإنسـان الذي يفكِّر في معنـى الوجود، فهي قديمةٌ قِدَمَ وجود الإنسان، لذا فإنَّنا نجد فكرة نهاية التاريخ سائدةً في الأساطير القديمة، وفي الملاحم التي أنتجها الذِّهنُ البشريُّ، ففي "ملحمة جلجامش" نجد الصِّراع من أجل الخلود، والهربَ من النهاية ومن فكرتها التي كانت سائدة آنذاك، وكذا الأمر في "أسطورة الخلق البابلية" التي تُقدِّم تصوُّرات لنهاية التاريخ بعد صراعات وخلافات بينَ الآلهة، وفي الأديان والفلسفات الهندية القديمة التي طرحَت فكرةَ التناسُـخ، لكي تجعلَ النَّفسَ تعود إلى العالم العلوي، الذي جاءت منه، خاليةً من الآثـام والخطايا؛ لأنَّ الوجود مُتناه، وحركته سـتنتهي لا محالة، كما أنَّ فكرة النهاية سـادَت في الأديان الشَّرقية جميعهـا، وهو الأمر الذي دفع الفراعنة لإبداع علم التَّحنيط؛ لاعتقادهم بوجود حياة بعد الموت، وبأنَّ النهاية لا تكون بمجرَّد الموت في هذه الحياة.

وفي الفلسـفة اليونانية ربطت "الفيثاغوريـة" نهاية التاريخ بالعدد ومبـدأ الكثرة، في حين أنَّ (أفلاطون - Plato) ربطَه بالجدل الصّاعد والهابط، بعد انتصار المثال الأعلى على الظِّل، والخير على الشرِّ، أي إنَّ (أفلاطون) "رأى أنَّ نهاية التاريخ تكون بارتقاء الرُّوح الإنسانية من عالم الواقع إلى عالم المُثُل، حيث يَجمع بين النَّزعة الرُّوحية والنَّزعة العقلية، وذلك عن طريق إيمانه بالفلسفة

1 - كارل ماركس: المادية التاريخية، ص512.

التي تستطيع أن تُخلِّص النَّفسَ وتُدخِلَها النَّعيم، على حين أنَّ أرسطو، في كتابه "السياسة"، ربطَ نهايةَ التاريخ بنهاية النُّظُم السِّياسية الفاسدة"[1]، أي إنَّ نهاية التاريخ، حسب تصوُّر (أرسطو - Aristotle)، لا بدَّ أن تسبقها أنسنةُ الأُمم المُتوحِّشة؛ وهذا ما دفعَه إلى تشجيع تلميذه الإسكندر المقدوني للسَّيطرة على العالم القديم والتوسُّع فيه؛ بغية الانتهاء من التوحُّش والهَمَجيّة التي تُرافق حركة التاريخ البشري.

كما طرحت الفلسفاتُ الدِّينية فكرةَ نهاية التاريخ من منظور عقائدي، سواء أكان في الأديان القديمة الوضعية كما هو الحال في الديانتين الزرداشتية والمانوية، أو في الأديان السماوية، إذ قدَّمت كلٌّ منها تصوُّراتها الخاصة لنهاية التاريخ وقيام الساعة أو البعث، وهنا نختصر الحديثَ بالعودة إلى رأي (مالك بن نبي) عندما تحدَّث عن الأخرويات في الأديان الثلاثة قائلاً: "إنَّ خلودَ الرُّوح، تلك الفكرة الجوهريّةُ في الثقافة التَّوحيدية، يَستتبع نتائجَ منطقيّةً هي: نهاية العالم، يوم الحساب، الجنة، النار. هذا المجال لم تُلقِ عليه الكتب العبرية إلا شعاعًا خافتًا، لأنَّها كانت مُهتمّةً بالتَّنظيم الاجتماعي لأول بيئة توحيدية، ثم جاء الإنجيل فزاده إيضاحًا حين ألحَّ على بني إسرائيل في تذكيرهم بـ'أيام الله'، ذلك المفهوم المُوجَّه إلى مجتمع مُوحِّد، قطعَ في طريق التطوُّر شوطًا، وسنرى أنَّ القرآن يُبرزُ هذا المجال الأخروي إبرازًا مُؤثِّرًا، فلقد قُصَّت فيه روايةُ الخلود بنبرة خاشعة رهيبة ... إنَّ مشاهد القيامة في القرآن ذات حقائق خلابة، الشَّخصيات التي تحتويها تتكلَّم وتتحرَّك... ولا تُهمِلُ أيَّ كلمة من شأنها التَّذكير بأهوال تلك الساعة الرَّهيبة"[2]، فالتصوُّرات الدِّينية في مسألة نهاية التاريخ تلتقي في مُجمَلِها بمفهوم الخير والشرِّ، وبلوغ الدِّين غايتَه الدَّعَويّة، أي إنَّ المجتمع قد وصل لمستوًى من التطوُّر لا بديلَ عنه، ولا يوجد أفضلُ منه.

وبالعودة لمعنى نهاية التاريخ في الفلسفة نجد أنَّ أبرز مَنْ طرح هذا المفهوم في تاريخ الفلسفة في العصر الحديث هو (كانط)، إذ اعتبر أنَّ غايةَ التاريخ البشري هي الوصول إلى الحرية، عبر حُكم مدنيٍّ يَحكمه قانونٌ عامٌّ، وبتحقيق هذه الغاية للتاريخ يكون قد حقَّق نهايتَه، كما أنَّ (هيجل) عدَّ انتصار الثورة الفرنسية (1806م) إيذانًا بإعلان نهاية التاريخ، حيث يَرى أنَّ "تاريخ العالم...

1 - أمين أمين ذكي: قصة الفلسفة اليونانية، ص105.
2 - مالك بن نبي: مشكلات الحضارة: شروط النهضة، ص203.

يكـونُ مضمونُه الجوهريُّ هو الوعي بالحرية"[1]، في حين خالفَه بالكثير من أفكاره الفيلسـوف (فرانسـيس فوكوياما - Francis Fukuyama)، الـذي طـرح فكرةَ النِّهاية على أسـاس انتصار الديمقراطية اللِّيبرالية كنظامٍ للحكم؛ حيث يرى "بأنَّ الديمقراطية اللِّيبرالية بإمكانها أن تُشكِّل فعلاً مُنتهى التطوُّر الأيديولوجيِ للإنسانية"[2]، وذلك لانتصارها على الأيديولوجيات المُنافسة كالنظام الملكي، وعلى الشُّموليّة المُطلَقة المتمثِّلة بالفاشيّة والنّازيّة وغيرها من الأحزاب السياسية التي حكمت، ولعلَّ آخرَها الأيديولوجية الشُّيوعية التي كان يُمثِّلها الاتحاد السوفيتي.

**2 - المفاهيم الرئيسة لنهاية التاريخ في الماركسية**

إنَّ السَّـعيَ لخلق مجتمع تَنتفي فيه حالةُ الاسـتغلال والعبودية بأشـكالها شكَّل هاجسًا عند (ماركـس)، فقـد وجدَ أنَّ ثورة البروليتاريا هي الحلُّ الأنسـب لذلك؛ حيـث يتمُّ إخراج العمال من سـيطرة مَنْ يَملك وسـائلَ الإنتاج وصولاً لبناء المجتمع الاشتراكي المبنيِّ على وعي ثوري تَملكه الطبقةُ العاملة، والوصول إلى هذه الحالة يُعبِّر عن وضعيّةٍ سُكونٍ نهائيّة لحالة الاستغلال الممارَس ضدَّ الإنسـان العامل من قِبَل مَن يَملك وسائل العمل/الإنتاج، وبما أنَّ سَيرورة تاريخ المجتمعـات البشرية هي عبـارة عن صراع طبقيٍّ بين مَنْ يَملك ومَنْ لا يَملك وسـائل الإنتاج، فكان "الحلُّ الماركسيُّ" هو التخلُّص من هذا الاحتكار عبرَ ثورة البروليتاريا، والوصل لنهاية هذا الصِّراع، بمعنى توقُّف حركيّة التاريخ وتطوُّره، وبلوغ نهاية التاريخ.

ولا شـكَّ أنَّ (ماركس) قد اسـتفادَ من الجـدل الهيجلي، كما تمكَّن من تقديم تَفسـير ماديٍّ للتاريـخ بالإفادة من النظريـة التطوُّرية الداروينية، لذا فهو يتحدَّث عـن المادية التاريخية، التي قسَّـم خلالَها تاريخَ المجتمعات البشرية إلى مراحل هي: "المشـاعية البدائية، الرِّقّ والإقطاع، الرأسمالية، الاشـتراكية، الشُّـيوعية"[3]، فهذه التطوُّرية في التاريخ البشري حتميةٌ واقعيّة، وبهذا المعنى سـتكون هناك حتميّـةٌ أُخرى هي قيـام الثـورة البروليتارية، والتخلُّص من الرأسـمالية الاسـتغلالية، وهدم علاقات الإنتاج المُستخدمة كوسيلة للسيطرة على المجتمعات والاستمرار

1 - هيجل: العقل في التاريخ، ص121.
2 - فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص53.
3 - حسين الجابري: فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر، ص244.

في تقسيمها الطبقي، وهنا ستلعب الأفكار الثورية والوعي بالحرية وضرورتها الدَّورَ الأبرزَ في ردم هُوّةِ التَّبايُن الطبقيِّ التي كانت سائدة، والتي كانت تُسهم بشكل فعَّال بنقل المجتمعات من حالة التناقضات إلى مرحلة "اللا-صراع الطبقي"، حيث تتحوَّل وسائل الإنتاج إلى ملكية مشتركة، ويبدأ تضاؤلُ الاختلاف يَظهر بين مَنْ كان يَملك وبين مَنْ كان يعمل في هذه الوسائل الإنتاجية.

إنَّ أهمَّ ما يُميِّزُ هذه المرحلة التي يُطلقُ عليها (ماركس) تسميةَ الاشتراكية، التي تشكِّل مرحلة من مراحل الشُّيوعية، هو اختفاء أيِّ شكل من أشكال الاستغلال بين البشر، وهنا نستذكر مقولة (جورج بوليتزر - Georges Politzer): "بأنَّ الفلسفة الماركسية فلسفةٌ علمية، وهي فلسفة العمال، وهي فلسفة حزب العمال، وفلسفة الطبقة الثورية التي يقوم دورها التاريخي على قهر البرجوازية، والقضاء على رأس المال، وبناء المجتمع الاشتراكي"[1]، حيث يقود هذا المجتمعُ إلى الانتقال إلى مرحلة المجتمع الشُّيوعي، وهي المرحلة التي تمُثِّل الوصولَ إلى مجتمع كامل التطوُّر.

وقد مثَّل قيامُ الثورة البَلشفية الروسية النَّموذجَ الأكثر قُربًا وتطبيقًا لتصوُّرات (ماركس) والماركسية لمفهوم الثورة، إلا أنَّ فشلَها في ألمانيا، وعدم قدرتها على الوصول إلى أهدافها، بوصفها ثورة بروليتارية، دفع بعضَ المُفكِّرين والفلاسفة الماركسيِّين إلى القول بضرورة تَوعية الطبقة البروليتارية، ودفعها للحصول على مستوى مناسب من الوعي والتثقيف، حتى تتمكَّن من تحقيق أهدافها، وقد عبَّر هربرت ماركيوز عن ذلك بقوله: "إنَّ هؤلاء يَقفون خارج الصَّيرورة الدِّيمقراطية، وحياتُهم تُعبِّر عن الحاجة المُلِحَّة والمباشرة والواقعية إلى وضع حدٍّ للشروط والمؤسسات التي لا تُطاق أو تُحتمل"[2]، وهي دعوة لتثقيف الطبقة البروليتارية حتى تتمكَّن من الحضور بشكل صحيح يُساعدها على المُساهمة في عملية الانتقال، مع إيمانه بقدرتها إذا ما حصلت على وعي تحرُّريٍّ مناسب، بحيث يكون هذا الوعي وسيلةَ أمان وضمان يَمنع المجتمع من الانزلاق صوبَ حالةٍ من الفوضى خلال عملية التحوُّل نحو الشيوعية.

## ثانيًا: نقد نظرية نهاية التاريخ في الفلسفة الماركسية ومآلاتها

لقد استفادَت الماركسية بشكلٍ كبير من النَّظرية التطوُّرية الداروينية، هذه النظرية التي واجهَت

1 - جورج بوليتزر، وآخرون: أصول الفلسفة الماركسية، ص21.
2 - هربرت ماركيوز: الإنسان ذو البعد الواحد، ص267.

انتقـادات كبيرةً ورفضًا كاملاً من قِبَل العِلم الحديث، وهذا مأخذ على الماركسـية التي وظَّفت النظرية الداروينية في فلسفتها بشكل عام، وفي مفهومها للتاريخ بشكلٍ خاصٍّ، كما أنَّ الماركسية قالـت بأنَّ الفكر نتاجٌ لِلمخِّ، ومن المعروف بأنَّ المُخَّ هـو شيء ماديٌّ، وهذا يَعني أنَّه يُنتِج مادةً مثله –حسب التصور الماركسي- وبذلك تكون فكرةُ نهاية التاريخ فكرةً ماديّة ثابتة لا تتطوَّر، وهذا أمر يَتناقض مع البحث العلمي، والتطوُّر البـشري، والأبحاث التي تُثبِتُ تطوُّريّةَ الفكر البشري ومرونتَه، وغيرها من التناقضات والانتقادات التي طالت الفلسفة الماركسية بشكل كَلِّيٍّ، بما في ذلك نظرية نهاية التاريخ عند الماركسية، وفيما يلي نذكر أبرزها.

### 1 - التباين بين النظرية والواقع

إنَّ الواقع يُثبت بأنَّ الحياةَ متطوِّرةٌ، وهي في سَيرورة مستمرّة، وقد أكَّد على ذلك عدد كبير من الفلاسفة والفلسفات عبر التاريخ، فنرى ( Heraclitus هيرقليطس 500 ق.م) يُشبِّه الحياةَ بالنهر الجاري المستمرِّ بالتَّغيُّر، وبأنَّ الإنسان غيرُ قادر على الاستحمام بمياه النهر ذاته مرّتين، وهو يُقدِّم بذلك مثالاً على تغيُّرها وعدم ثباتها، كما أنَّ (Thales طاليس 400ق.م) قال بأنَّ العالم ليس كتلةً جامدة، بل إنَّه أسـاس التطوُّر أو أصلُه، وكذا الحال عند (Democritus ديمقريطس 341ق.م) الذي قال بأنَّ أصل التطوُّر حقيقة لا يُنكِرها العقلُ[1].

وهذا الكلام تأخذُه الماركسـية بجزئه الأول، وتقول بالتغيُّر، ولكنَّها تعود لرفضه وإلى مخالفة الواقـع عبر قولها بثبات حركيّة التاريـخ، وتوقُّف عجلة التاريخ ونهايتـه، ولكنَّ التطوُّر البشريَّ واسـتمراريته مسـألة لا يُنكِرها عقلٌ، وهي مبنيّة على المنطق الإلهي وتنظيمه للكون من جهة، وعلى الإرادة البشرية ورغبتها في التَّغيير من جهة ثانية، وبالنسبة للإرادة البشرية فقد أثبت التاريخُ وعلم الاجتماع والسياسـة رغبتها المُسـتمرّة بالتطوير، ولولا هذه الرَّغبة لما قامت الحضارات البشرية، وهنا ردٌّ مزدوج على الماركسـية التي تقول بأنَّ التغيير مسألة حتمية أو إجبارية، تُفرَض على الإنسان دون أيِّ إرادة أو رغبة له في هذا التغيير.

وفي ظلِّ الحديث عن التباين بين النظرية الماركسية في نهاية التاريخ وبين الواقع الذي لا تكاد تنطبق عليه، لا بدَّ لنا من الحديث عن نموذج من هذا التباين، ألا وهو حالة العَدَمِيّة التي قدَّمتها

1 - المدرِّسي: نقد النظرية الماركسية، ص22.

الماركسية ضمن سيرورة حركة التاريخ، وقولها بحتمية التاريخ، بعد أن تبنَّت فكرةً مفادُها بأنَّ الثورة الشُّيوعية لن تندلع في مجتمع مُتخلِّف، بل توقَّعت أن تندلع في مجتمع يَمتلك فيه العمالُ وعيًا متقدِّمًا بالحرية، أي من مجتمع صناعيٍّ متطوِّر، كما هو الحال في (إنكلترا، ألمانيا)، ولكنَّ حقيقة ما حدث مغايرةٌ تمامًا لتوقُّعات الماركسيِّين الجازمة، حيث خرجَت من مجتمعات زراعية متخلِّفة مثل: روسيا والصين.

كما رفض عددٌ كبير من الفلاسفة والمفكرين، ممَّن نقد نظرية نهاية التاريخ عند الماركسية، القولَ بوجود ترابُط كلِّي وشامل بين التغيُّرات الاقتصادية والنتاج الفكري للإنسان، ليذهبوا للقول بأنَّ العلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية هي "علاقة تفاعل وتبادُل مستمرّ، وأنَّ كلاًّ منهما تتغيَّر باستمرار، وقد بيَّن (ريموند وليامز - Raymond Williams) أنَّ التغيُّرات في البنى الاقتصادية لا يُمكِن أن تُفسِّر "التغيرات" في المحتوى والتنظيم الثقافي بأيِّ شيء من التفصيل الضروري، فالأشكال والأحداث الثقافية أكثر تنوُّعًا، والإمكانات المهنية المتاحة للعمال الثقافيِّين أكثر وفرةً ممّا يُمكِن لأيِّ إشارة إلى الأُسس الاقتصادية أن تُعلِّله"[1]، فصحيح أنَّ العامل الاقتصادي قد يترك أثرًا في النِّتاج الفكري؛ ولكن دون أن تكون العلاقة جَبْريّةً أو حَتْميّة، والدليل هو أنَّ الاقتصاد ووسائل الإنتاج وتطوُّرها هي من نتاج العلمية الذِّهنية للإنسان، وليس العكس، والنِّتاج الفكريُّ هو الذي ترَكَ أثرَه الاقتصادي في الحركة التاريخية للمجتمعات البشرية، أي ليس نِتاجَ حتمية جامدة، وهذا ما عبَّر عنه الفيلسوف (تيودور أدورنو - Theodor W. Adorno) حين كان يَصف الإنتاجَ الفكريَّ البشري، وينتقد النظرية الماركسية وحتميّتَها التاريخية، حيث قال: "إنَّما هو وسيلةٌ خاصّةٌ لتجاوُز الواقع"[2]، بمعنى أنَّ نِتاج العقل البشري لا يمكِن تَقييدُه بقيود مُسبَقة، كما لا يُمكِن أن نُصدِرَ عليه حكمًا مُسبَقًا ثابتًا، فدائمًا ما كان الإنسان يُحاوِلُ تجاوُزَ الواقع والتفوُّق عليه، وعلى الصعوبات التي تُواجهُه في هذا الواقع، فالنِّتاج الفكريُّ البشريُّ تجاوُزيٌّ بطبعه، ويسعى إلى الحرية، وتجاوُز الأُطُر الضيِّقة التي يُوضَعُ فيها مُسبَقًا.

ولو تساءلنا: هل العالَمُ يَسير بذات الوَتيرة، ونَقصِدُ هنا أنَّه يَشهد التحوُّلات السياسية والاقتصادية ذاتَها بنفس الوقت وبنفس الظُّروف؟

1 - سايمون ديوزنغ: الدراسات الثقافية مقدمة نقدية، ص46.
2 - رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ص62.

نعتقد بـأنَّ الجوابَ نعم، فهو يَحتوي على سـطحية كبيرة؛ إذ إنَّه ليس مـن المنطقي أن نَقوم بتَعميم التحوُّلات التي تَطالُ جُـزءًا من العالَم على العالَم بأسره، فلا تزال هناك أماكنُ مجهولة، لم يتمَّ اكتشافُها في العالم حتى هذه اللَّحظة، أو كما يُطلِق عليها الجغرافيون بالمناطق العَذراء، وعلى الرغم من التقدُّم التِّقني، وثورة التَّواصل، لم يَنجح الإنسانُ بالتَّحكُّم بها، ولا حتى المعرفة الصحيحة لشـعوبها، حتى إنَّ التحوُّلات الحاصلة في العالم لا تَطـال كافّةَ المجتمعات بالأثر وبحجم التحوُّلات ذاتِها، وأنَّ نهاية التاريخ التي تَفترضها الماركسية تقوم على تجاوُزِ المُشكلات الاقتصادية والسياسـية، في حين أنَّ الواقع يُشـير إلى اتِّسـاع الهُوّةِ بين الشمال والجنوب وبين الـشرق والغرب، وازدياد ثراء المجتمعات الغَنيّة مقابـل ازدياد فقر المجتمعات الفقيرة، وظهور التطـرُّف الدِّيني، وهذا يـدلُّ على أنَّ التاريخ لم يَنتهِ بعدُ، كما تعرَّضـت نظرية نهاية التاريخ عند الماركسـية لنقدٍ علميٍّ دقيق من قِبَل الاقتصاديِّين والباحثين في علم الاقتصاد، وهذا ما سيكون محور حديثنا التالي.

## 2 - النظريات الاقتصادية والنَّقد الاقتصادي

طرحَت نظريةُ نهاية التاريخ عند الماركسـية فكرةَ أنَّ الملكية الخاصّة هي المصدر والأساس لكلِّ شرٍّ في المجتمعات الرأسـمالية، وأنَّ الحلَّ يكون بإلغاء الرأسـمالية، للتَّمكُّن من معالجة الانقسـامات الطبقية في المجتمعات، كما زعـم (فريدريك إنجلـز - Friedrich Engels) بأنَّ المرحلة التالية التي تأتي بعد التخلُّص من الرأسـمالية هـي التخلُّص من الدَّولة، حيث تَتلاشى وتَذبـل؛ لأنَّ الدولة تصبح غير مُهمّة لا من الناحية السِّياسـية ولا مـن الناحية الاقتصادية، وقد تعرَّضت هذه النظرية للنَّقد الاقتصادي الشَّديد، ولعلَّ أبرز مَن انتقدَها (كارل بوبر)، الذي وصف (ماركس) بأنَّه "نبيٌّ مُزيَّف"، وبذلك كانت "ثورة بوبر" المَنطقية على العِلم الزائف، حيث استوقَفَه التَّباينُ الشَّـديد في النظرية الاقتصادية الماركسية، ولم يكن موقفُه موقفًا سيكولوجيًّا أو مزاجيًّا، إنَّما كان منطقيًّا مَحضًا يتعلَّق بطبيعة البنية المَنطقية للنظرية الماركسية في الاقتصاد.

حيث يقول (بوبر): "في منطق الكشف العلمي: إنَّ النَّسَقَ الذي يَنتمي إلي العلم التَّجريبي يَنبغي أن يكون في إمكان التَّجربة أن تُكذِّبَه، وهكذا، فعبارة 'قد تُمطِرُ السَّـماءُ هنا غدًا أو لا تُمطِرُ' لن تُعتبر عبارة تجريبية، لسـبب بسـيط وهو أنَّها لا يُمكِـن تَفنيدُها، على العكس من

عبارة 'ستُمطر السَّماء هنا غدًا' التي ستُؤخَذ على أنَّها عبارة تجريبية .. وفضلاً عن ذلك فقد كان بوُسعهم، بما يُضفونه على تفسيراتهم وتنبُّؤاتهم من غموض، أن يتملَّصوا من أيِّ شيءٍ كان حقيقًا بأن يُفنِّدَ النَّظرية لو أنَّ النظرية والتنبُّؤات كانت أكثر دِقّةً وتحديدًا، فهم لكي يَتفادوا تكذيب النَّظرية قاموا بتحطيم قابليّتها للاختبار"[1]، وبهذا وصف (بوبر) الماركسيِّين بالعَرّافين الذين يُقدِّمون تنبُّؤاتهم بطريقة لا تَخلو من الغموض بشكل يُشتِّت انتباهَ النّاسِ لإمكانية دَحْضِها.

وبالتَّجربة -لاحقًا- تبيَّن أنَّ معظم الأنظمة التي رفضَتِ الرأسمالية، بحجَّة السَّعي لتحقيق الشُّيوعية، قد فشلتْ في سياستها الاقتصادية، فمن خلال إلغاء الملكية الخاصّة، وترسيخ سيطرة الدَّولة على الاقتصاد، لا يُحرَم المجتمع من ريادة الأعمال اللازمة لدَفعه إلى الأمام فحسب، بل يترتَّب على هذا أيضًا إلغاءُ الحرية ذاتها، كما أنَّ المعارضات التي نشأت في المجتمعات الشُّيوعية كانت مُتَّهمة بالخيانة والعمل لصالح الرأسمالية، وبالتالي فتَمَّ قمعُها بأبشع أساليب القَمع الهمجيّة، وهذا ما ظهر خلال قيام الثورة الشُّيوعية أو البلشفية في روسيا، والتي كان من نتيجتها معسكرات خاصّة لاعتقال رافضي الفِكر الشُّيوعي، هذا الفكر الذي أسَّس له (ماركس) ومن اتَّبعه.

ومن إخفاقات النَّظرية الاقتصادية الماركسية تنبُّؤُهم بأنَّ طبقة البروليتاريا سوف تتضخَّم وتُصبحُ طبقة كبيرة، وبالمقابل سوف تتراجع طبقة أصحاب رؤوس الأموال، وهذا ما لم يَحدث، بل إنَّ تطوُّر الصناعات بات مرتبطًا برؤوس الأموال، وتوظيفها في المشروعات الاقتصادية، التي باتَت تعتمد على الثورة التكنولوجية وثورة المعلومات أكثر من التَّركيز على إعداد العمال، وبات التَّركيز على النَّوعية لا الكميّة في العمل؛ لأنَّه الوسيلة الصحيحة للتطوُّر الاقتصادي، وهذا الأمر أدَّى لظهور طبقة جديدة هي طبقة الخبراء، من مهندسين وفنيِّين ومحاسبين وإداريِّين.. ويمُكنُنا القولُ بأنَّ التطوُّرات لم تُسفِرْ عن طبقتين في المجتمع فقط، بل إنَّها أنتجت طبقات متعدِّدة، يمُكنُنا حصرُها بستِّ طبقات، هي، طبقة البرجوازية، وطبقة كبار مُلَّاك الأراضي، والمُلَّاك الآخرين، وكذلك العُمال الزِّراعيِّين، وطبقة وسطى من الإداريِّين والفنيِّين، وطبقة العمال الصِّناعيِّين،

1 - Karl Popper: Conjectures and Refutations, the Growth of Scientific Knowledge, pp. 33-39.

وأخـيراً طبقة المُثقَّفين[1]، وبذلك لم تَنعدم طبقةُ الرأسـماليِّين، بل يمُكنُنا القولُ بأنها باتَت أكثر تجدُّدًا وتنوُّعًا ومرونةً؛ لأنّها قادَت لظهور أشكال من الرأسمالية مُساهِمةٍ بشكل حقيقي في حركة الاقتصاد، كما هو الحال مع الرأسمالية الخاصّة المُقيَّدة، التي ظهرت في عدد كبير من البلدان، أو مع النظام المختلط الذي يجمع بين الملكية الخاصة والملكية العامة (رأسمالية مشتركة).

إنَّ كلَّ التَّحوُّلات التي حصلَت كذَّبَت نبوءاتِ (ماركس) في تصوُّراته حول نهاية التاريخ، وقد أثبتـت التغيُّرات الاقتصادية بُطلانَ تصوُّره الاقتصادي الذي ربطَـه بالتاريخ ونهايته، ليتَّضِحَ بأنَّ هذه النظرية ليسـت سـوى توصيف أو قراءة، تَقتصر على وصف الماضي وتاريخ الإنتاج، دونَ أن تكون نظرية علمية للمستقبل، ودون أن تَنطبق الحتميّةُ الماركسية على المستقبل اللاّحق له، وبهذا نكون قد قدَّمنا إضاءةً على تباين فكرة نهاية التاريخ وتناقضها مع العِلم الاقتصادي، لِيُمهِّد لنا ذلك الطَّريقَ للحديث عن الفلسفة الدِّينية والنَّقد الدِّيني الذي يُقدِّم جملةً كبيرة من الأدلة على بطلان نهاية التاريخ عند الماركسية، وهو موضوع حديثنا القادم.

### 3 - الفلسفة الدِّينية والنَّقد الدِّيني

الماركسيّةُ فلسفةٌ ماديِّة تُفسِّر الكونَ تفسيراً ماديًّا، وتقول بالحَتمية التاريخية، ومن هذه الزاوية فإنَّ التَّفسـير الدِّيني للكون يَختلف، بل ويَتناقض مع التَّفسـير الماركسي ومع التفسـير المادي إجمالاً، وقد اتَّخذت الماركسـية من فلسفتها المادية وسـيلةً لتفسير المجتمع وتَغييره، وهذا ما وضَّحه (لينـين - Lenin) في كتاب "الأعـمال المختارة"، حين بيَّن أنَّ (ماركـس) عمَّقَ المادية الفلسـفية وطوَّرها حتى انتهى بها إلى غايتها المَنطقية، أي المادية التاريخية، ووَسَّعها من معرفة الطبيعـة إلى معرفة المجتمع البشري، وبهذا لا تَعُدُّ الماركسـيّةُ الدِّينَ عامـلاً مُحرِّكًا في التغيير الاجتماعي، وإنَّما نموُّ وسائل الإنتاج والتطوُّر في البناء التَّحتي للبنية الاجتماعية هو الذي يُغيِّر ويُؤثِّر في البناء الفَوقي الذي يَحتوي عـلى مُركَّبات من الوَعي الثَّقافي والدِّيني، كلُّ ذلك وغيرُه من التَّفسيرات التاريخية والحتمية جعلَت من الماركسية موضِعَ نَقدٍ ورَفضٍ من قِبَل الأديان.

لقد تعامَلَ الفِكرُ الدِّينيُّ بشـكل عامٍّ، والفِكرُ الإسلاميُّ بشكلٍ خاص، مع الماركسية ونظريَّتِها حول نهاية التاريخ على أنَّها نظرية اعتقادية، تُؤسِّـس لِمُعتقَدٍ دينيٍّ أكثر من كونها نظريّةً فلسفية،

1 - يمنى طريف الخولي: ركائز في فلسفة السياسة، ص43.

ودلَّلَ على ذلك بحشد الماركسية لزيادة أتباعها حولَ العالم، بوصفها عقيدةً دينية، ولا سيَّما أنَّ نظريــة النهاية لها أبعادٌ وأُســس دينية قديمة، حيث تقوم على ربــط الزَّمان بالخَلْق الأول، وبمَصير الإنســان المَحتوم في النهاية، والتي ذكرتها الأديانُ كلُّها، فنجد في الفكر الإسلامي عددًا كبيرًا من الآيات والأحاديث التي تقول بالنِّهاية وترَسُمُها بشكل دقيق ومُفصَّل[1]، ونجد في القرآن الكريم سورة الإنسان، التي يُطلَق عليها سورةُ الدَّهر، والتي تَبدأ بقول الله -تعالى-: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1]، وكذلك نجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: 59]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: 7]، وكذلك غيرها من الآيات التي تُؤكِّد وقوعَ النِّهاية لا محالة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34]، وغيرها من الآيات والأحاديث التــي يُطلَق عليها أحاديثُ آخِر الزَّمان، وأشراط الســاعة، وهذه الآيات والأحاديث مسائلُ مُسلَّمٌ بها عند عُموم المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

فالرؤية الدِّينيّة قدَّمَت تفســيراً لنهاية الصراع بين الخير والشرِّ، وحســمَت الصِّراعَ بأنَّ له نهايةً يَنتصر فيها الخيرُ على الشرِّ والظُّلم، وعندها تكون نهايةُ الإنســانية، ويُركِّز المذهبُ الإســلاميُّ الشِّيعيُّ على مسألة النِّهايات بشكلٍ قد يكون أكبرَ منه عند غيره من المذاهب الإسلامية، فالنظرية المَهدوية تقوم على خروج الإمام المَهدي ومَلْئه الأرضَ عدلاً كما مُلِئَت جورًا قبل الفناء الأخير، ويتمُّ الاستناد إلى عدد كبير من الأحاديث، والآيات القرآنية، التي أجمع المسلمون وآمنوا بصحّة قَولها بحَتْمية النِّهاية، نذكر مثلاً قولَ الرَّسول (صلى الله عليه وآله سلم): "لو لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنيا إلا يومٌ واحدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذلكَ اليومَ حتَّى يَلي رجلٌ مِن عِترتي، اسمُه اسمي، يَملأُ الأرضَ عَدْلاً وقِسْطًا كما مُلِئَت ظُلمًا وجورًا"[2]، وكذلك قول الإمام عليٍّ (عليه الســلام) بعدَ أن نظرَ إلى ابنه الحَســن (عليه الســلام): "إنَّ ابني هذا سيِّدٌ كما سَمَّاه رسولُ الله -صلى الله عليه [وآله] وسلَّمَ- سيَخرُجُ مِن صُلبِهِ رجلٌ باســمِ نَبِيِّكُم، يَملأُ الأرضَ عَدْلاً كما مُلِئَت جورًا"[3]، وغيره الكثير من الأحاديث

1 - كاصد ياسر الزيدي: "الدلالة الإيحائية لطائفة من ألفاظ الزمان في القرآن الكريم"، ص20.
2 - الألباني: صحيح سنن أبي داود، رقم الحديث: 4282.
3 - البخاري: الجامع المسند الصحيح، رقم الحديث: 322.

التي تُبيِّن أنَّ مسألة نهاية العالَم، ووراثة الله للأرض، هي مسألة لا يُجادِلُ فيها إلا غيرُ المؤمنين.

وبصورة عامّة فإنَّ مسألة نهاية التاريخ، في الفكر الدِّيني، مسألةٌ ميتافيزيقية، والإيمان بصدقيّتها وصحّتها أمرٌ بديهيٌّ، أجمعَت عليه الدّيانات السَّماوية الثَّلاث، وهي تقدِّم تَفسيراً أكثر منطقيّةً وعَقلانيّةً من نظريات النِّهايات التي قدَّمها الفلاسفةُ والسِّياسيُّون، والتي تَهدف إلى احتكار حركة التاريخ، وإيقافها عند لحظة تاريخية، تمُثِّل حالةَ انتصارٍ لهذا المَذهب الفكريِّ أو لتلك العقيدة الأيديولوجية، التي تُروِّج لهذه النهاية التاريخية.

## خاتمة

يُمكِنُنا القولُ إنَّ البحث خلص إلى مجموعة من النَّتائج والتَّوصيات، يُمكِنُ اختصارُها بعدَّة نقاط، هي:

1. إنَّ مفهوم نهاية التاريخ ليس مفهومًا ماركسيًّا بحتًا؛ إنَّما هو مصطلح يُشير إلى فكرة أو اعتقاد بأنَّ هناك نقطةً نهائيّة أو حدودًا زمنية لتطوُّر العالَم والبشرية، حيث تُشير نهايةُ التاريخ إلى حدوث حدث أو كارثة عالمية، تُؤدِّي إلى انقراض البشرية، أو تغيُّر جذري في الحضارة، وهذا الاعتقاد تجلَّى في مُعظَم الأديان، وبعض المعتقدات الفلسفية والثقافية، ومع ذلك فإنَّ هذا المصطلح ليس محدَّدًا بشكل واضح، ويختلف تفسيرُه من ثقافة أو معتقد لآخر، ففي غالبية الأديان تعني نهاية التاريخ بلوغَ الدِّين غايتَه، في حين أنَّ النهاية عندَ بعض الفلسفات والثقافات هي انتصارٌ لمرحلة زمنية، وتَحقيقُ غايات اعتقادية محدَّدة، حيث يكون فيها الوصولُ إلى مستوًى من التطوُّر لا بديلَ عنه ولا وجودَ لأفضل منه، فنهاية التاريخ عند (هيجل) تَعني انتصارَ الحرية على الاستعباد، في حين أنَّها انتصار الدِّيمقراطية اللِّيبرالية عند (فوكوياما).
2. نهاية التاريخ عند الماركسية تَعني الوصولَ لحالة الشُّيوعية، بعد أن مرَّت البشرية حسب تقسيم ماركس بمرحلة المَشاعيّة البدائية، ثم الرِّقّ، ثم مرحلة الرأسمالية، وصولاً إلى الاشتراكية، التي تمُهِّد للوصول إلى المرحلة الأهمِّ والنِّهائيّة وهي الشُّيوعية، والتي تعدُّ حالةَ السُّكون والنِّهاية لاستغلال الإنسان العامل من قبل مَنْ يَملك أدواتِ الإنتاج،

وهــذه الحالة تُوصِلُ التطوُّرَ البشريَّ لمحطّته النِّهائيــة، فتتوقَّفُ حركةُ التاريخ وتطوُّره، مع التأكيد على ضرورة حصول العُمّال على مستوًى من الوعي والتَّثقيف، يُؤهِّلُهم لِطَيِّ الصَّفحة الأخيرة من التاريخ.

3. لقــد وقعَت نظريــةُ نهاية التاريخ عند الماركســية في تباين واضح بــين إطارها النَّظري وبين انسجامها مع الواقع، عبر قولها بحتمية التاريخ ووصوله لحالة من العطالة التامّة، كما تبيَّن وجودُ هــوّةٍ كبيرة وفراغ بين التغيُّرات الاقتصاديــة والنتاج الفكري، افترضَت الماركسيّةُ تلازُمَهما، فلا يُمكِن تَقييد العقل البشري ونتاجه الذِّهني بقيود مُسْبَقة لإيصاله لمرحلة الثَّبات، كما أنَّ نهاية التاريخ المُفترَضة ماركســيًّا تقوم على تجاوز المشكلات الاقتصادية والسياسية التي تُواجِهُ الشُّعوبَ، في حين أنَّ الواقع يُشير إلى اتِّساع الفجوة بين الشرق والغرب، وازدياد التطرُّف الدِّيني والأيديولوجي، وتفاقم الأحداث السياسية والأزمات الاقتصادية.

4. أثبــتَ علمُ الاقتصاد والاقتصاديُّــونَ تناقُضَ بنية النَّظريّة الماركســيّة في نهاية التاريخ، في جانبهــا الاقتصــادي، القائم على التنبُّــؤات المُحاطة بشيء مــن الغموض، والتي تفتقد الأُسُــسَ المَنطقية، حيث إنَّ إلغاء الملكية الخاصة من شأنه حرمانُ المجتمع من ريــادة الأعمال، والتَّضييق على الحُرِّيات الفردية والحقِّ في التملُّك، كما أنَّ التطوُّرات الاقتصادية التي طالت حيــاة المجتمعات تزامنَت مع التقــدُّم التِّكنولوجي، الذي قادَ لظهــور طبقة جديدة هي الخبراء، التــي تقوم على التميُّز في النــوع، دونَ أن تُولي أيَّ اهتــمامٍ لأعدادِ مَن يَنتمي إليها، وهذا يُفنِّدُ النظرية الماركســية التي تُركِّز على الأعداد، وتتنبَّأ بتضاعف أعداد البروليتاريا مقابل طبقة رؤوس الأموال، وقد حدثَ عكسُ ذلك.

5. ترفضُ الأديانُ التَّفســيرَ الماديَّ لنهاية التاريخ، وتُقدِّم تَفسيراً يَقــوم على ربط الوُجودِ بالخالــق، وعلى أنَّ المَصير النهــائيَّ للكون هو النِّهاية الحتميــة، التي هي بمثابة ركنٍ دينيٍّ، لا بُدَّ من التَّســليمِ به لتَحقيقِ صِحّة الإيمان؛ حيــث إنَّ الرُّؤية الدِّينيّة تُقدِّم نهايةً لحالة الصِّراع بين الخير والشرِّ بمُعاقبة المُسيءِ وإثابةِ المُحسِنِ، وهذه ضرورة يَستلزمها العدلُ الإلهيُّ.

## المصادر والمراجع

**باللغة العربية**

1 - القرآن الكريم.

2 - الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، لا ط.، 1420هـ.

3 - أمين، أحمد؛ ومحمود، زكي نجيب، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، ط2، 1953م.

4 - البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح - كتاب الفتن، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لا ط.، 1999م.

5 - بن نبي، مالك، مشكلات الحضارة: شروط النهضة، منشورات دار الكتاب المصري، القاهرة، لا ط.، 2012م.

6 - بوليتزر، جورج؛ وآخرون، أصول الفلسفة الماركسية، تر.: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط1، د.ت.

7 - الجابري، علي حسين، فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1993م.

8 - الخولي، يمنى طريف، ركائز في فلسفة السياسة، منشورات مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2019م.

9 - ديوزنغ، سايمون، الدراسات الثقافية مقدمة نقدية، تر.: محمود يوسف عمران، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1988م.

10 - الزيدي، كاصد ياسر، "الدلالة الإيحائية لطائفة من ألفاظ الزمان في القرآن الكريم"، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، المجلد2، العدد1، أبريل/ نيسان، 2000م.

11 - سلدن، رامان، النظرية الأدبية المعاصرة، تر.: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، لا ط.، 1988م.

12 - فوكوياما، فرانسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، تر.: فؤاد شاهين؛ وآخرين، منشورات

مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1993م.

13 - ماركس، كارل؛ وآخرون، المادية التاريخية، دار الفارابي، بيروت، د.ط، 1975م.

14 - ماركيوز، هربرت، الإنسان ذو البعد الواحد، تر.: جورج طرابيشي، دار الأدب، بيروت، ط3، 1988م.

15 - المدرسي، هادي، نقد النظرية الماركسية، منشورات دار البيان العربي، بيروت، ط2، 1988م.

16 - هيجل، جورج فلهلم فرديرك، العقل في التاريخ، تر.: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ط3، 2007م.

**باللغة الاجنبية**

1 - Popper, K. R., Conjectures and Refutations, the Growth of Scientific Knowledge, Fifth edition, London, Routledge and Kegan Paul, 1974.